بسم الله الرحمن الرحيم

قاموس مصطلحات حقوق الإنسان الإسلامية (١)

أسس حقوق الإنسان

في الإسلام

المؤلف:

الدكتور عباس خواجه بيري

عضو هيئة التدريس بالجامعة

محامي من الدرجة الأولى

الترجمة:

مؤسسة آثار سبز امروز

قاموس مصطلحات حقوق الإنسان الإسلامية (١)

أسس حقوق الإنسان في الإسلام

المؤلف: الدكتور عباس خواجه بيري

الترجمة:مؤسسة آثار سبز امروز

شابک:٢-١٨-٨٥٦٦-٦٠٠-٩٧٨

انتشارات آثار الخضراء٢٠١٦طبع الأول

نسخ:١٠٠٠

السعر:٠

سرشناسه	: خواجه‌پیری، عباس، ۱۳۳۹ - ، فیپا
عنوان قراردادی	: مبانی حقوق بشر در اسلام .عربی
عنوان و نام پدیدآور	: اسس حقوق‌الانسان فی‌الاسلام/ المولف عباس خواجه‌پیری؛ الترجمه موسسه آثار سبز امروز.
مشخصات نشر	: تهران: آثار سبز، ۱۳۹۵.
مشخصات ظاهری	: ۷۸ ص.؛ ۹/۵ × ۱۹ س‌م.
فروست	: قاموس مصطلحات حقوق‌الانسان‌الاسلامیه؛ ۱.
شابک	: 978-600-8566-18-2
وضعیت فهرست نویسی	: فیپا
یادداشت	: عربی.
یادداشت	: کتابنامه: ص. ۶۹ - ۷۱.
موضوع	: حقوق بشر -- جنبه‌های مذهبی -- اسلام
موضوع	: Human rights -- Religious aspects -- Islam
شناسه افزوده	: موسسه آثار سبز امروز
رده بندی کنگره	: BP۲۳۰/۱۳۹۵۱/۲۰۴۳م۹خ/
رده بندی دیویی	: ۲۹۷/۴۸۳۴
شماره کتابشناسی ملی	: ۴۴۲۵۰۶۵

المقدمة..... ٦
أسس حقوق الإنسان في الإسلام..... ١٠
الظروف الزمنية لظهور الإسلام..... ١٠
مبادئ حقوق الإنسان في الإسلام..... ١٧
1- مبدأ التوحيد..... ١٧
٢- مبدأ المساواة، وإلغاء التفاضل النَسَبي..... ١٩
٣- مبدأ الفضيلة يرتكز على أساس الإيمان والتقوى..... ٢٤
٤- مبدأ وحدة الأمة..... ٢٧
٥- مبدأ توزيع الثروات والإمكانيات في المجتمع..... ٣١
٦- مبدأ حرمة أرواح البشر..... ٣٩
٧- مبدأ منح الحريات الأساسية..... ٤٠
٨- مبدأ الحكم المطلق لله..... ٤٢
٩- مبدأ المشاركة العامة..... ٤٦
10- إلغاء العبودية..... ٥٠
١١- منح المرأة حقوقها..... ٥٧
١٢- مبدأ حصول كل إنسان على الحقوق الإجتماعية..... ٦٣
الحق في تحديد مكان الإقامة والهجرة..... ٦٤
حرمة الحياة الخاصة والشخصية..... ٦٤
الحق في تشكيل العائلة وإختيار الزوج..... ٦٥
الحق في إختيار العمل المناسب والأجور المترتبة على العمل..... ٦٦
المصادر والمراجع:..... ٦٩

المقدمة

إن حقوق الإنسان قضية إنسانية قديمة قدم الإنسان على الأرض، نظرا لطبيعة هذه الحقوق وصلتها بالفطرة الإنسانية. لقد ولدت هذه الحقوق ونمت وتطورت مع تعدد البشر وتكاثر المجتمعات البشرية، فكانت دوما مصدرا لأنواع النضالات والحركات من أجل العدالة والحرية، كما ظلت كأهم التطلعات البشرية الخالدة حتى يومنا هذا.

ولقد عثر المؤرخون، خلال البحوث والإكتشافات التاريخية، على وثائق يعود تاريخها إلى أكثر من ألفى سنة قبل ميلاد السيد المسيح (ع)، شدد فيها أصحابها على حقوق طبيعية وحريات أساسية للإنسان.

ويعد ظهور الإسلام، في عام ٦١٠ الميلادي، من أحسن وأخلد الفصول الذهبية في تاريخ البشرية، لقى خلال وقت قصير ترحيبا واسعا لدى قطاعات واسعة من شعوب العالم، لا سيما المضطهدين. كما نجح في إستقطاب عدد كبير من الأتباع، بسبب مضامينه التعليمية، خاصة في مجال حقوق الإنسان.

يقول المفكر والباحث الشهير أبو الأعلى المودودي إن الغربيين أعتادوا أن ينسبوا كل الخير إلى الغرب وإلى أنفسهم ويتظاهرون بأنه مصدر كل النعم والفضائل التي حققتها البشرية، رغم أن الماجنا كارتا (Magna Carta – الميثاق الأعظم للحريات)، وهي أول وثيقة تاريخية غربية حول حقوق الإنسان، صدرت لأول مرة عام ١٢١٥ م بأمر من الملك جون ملك انجلترا أنذاك، أي أن تاريخ الوثيقة يعود إلى أكثر من ٥٠٠ سنة بعد ظهور الإسلام. كما أن هذه الوثيقة والوثائق التي أتت في أعقابها تمثل حجة قاطعة على تخلف الغرب من قافلة حقوق الإنسان، كما تمثل أيضا دليلا على عدم إهتمامهم بكرامة الإنسان، فضلا عن تأخرهم في مجال مكافحة الظلم والقمع ضد الإنسانية عبر قرون ممتدة.

تظهر دراسة مفاهيم حقوق الإنسان في الإسلام بشكل واضح أن منظومة حقوق الإنسان في الشريعة الإسلامية وتعاليم الرسول الكريم (ص) هي أكثر اكتمالا وشمولا مقارنة بما يدعيه الغرب في هذا المجال، والسبب في ذلك الفرق الأساسي الذي نجده بين النظامين القانونيين في الغرب و الإسلام في النظر إلى الإنسان وخصائصه الروحية والمادية.

إن الشريعة الإسلامية تولي إهتماما خاصا لمعايير إنسانية مثل الفضيلة والإنسانية والروحانية، أما الغرب فنظرته للبشر لا تقوم أساسا على العوامل الروحية والأخلاقية.

ثم إن الأخلاق والدين يمكن أن يوفرا أقوى سند لإرساء حقوق الإنسان ودعمها، ما يجعل تعزيز القيم الأخلاقية والدينية في المجتمع عاملا فاعلا في توسيع وتيرة دعم هذه الحقوق. وبالمقابل فإن الانحطاط الأخلاقي واللامبالاة بالقيم الدينية يؤثر، هو كذلك، سلبا على هذه الحقوق ويؤدي إلى انتهاكها وحرمان الإنسان منها. لذلك، فإذا كان القانون والتشريعات القانونية المعمول بها في المجتمع لا تتمتع بدعم روحي وعقائدي كبير من قبل أفراده، فإن النتيجة المرغوبة والمرجوة لا يمكن لها أن تتحقق.

لقد أدى عدم إهتمام هيئات حقوق الإنسان في الأمم المتحدة والوثائق الدولية المعنية بها بالدين وبالمعتقدات الدينية إلى فشل عملية توسيع حماية حقوق الإنسان في عالمنا اليوم، والنتيجة أن حالة مأساوية وكارثية لحقوق الإنسان بسبب الانتهاكات التي نشهدها كل يوم، وفي كل أنحاء العالم.

ونحن، من خلال سلسلة من المقالات التي نقدمها هنا، نسعى لتقديم موجز عن بعض التعاليم الإسلامية المطهرة من أجل تبيين حقانية الشريعة الإسلامية المتسامية على كل المزاعم الغربية التي، رغم الطنانة التي تحدثها، لا أساس لها، وسيلاحظ الجميع إلى أي مدى هي مدينة الإنسانية للشريعة الإسلامية وتعاليم الرسول الأكرم (ص).

ومن الله التوفيق.

أسس حقوق الإنسان في الإسلام

لا يمكن التعرف على أسس حقوق الإنسان في الإسلام من دون تحري الدقة الكاملة في التاريخ المعاصر لظهور الإسلام، ولذلك سنشير هنا وبإختصار إلى الظروف الزمنية لظهور الدين الإسلامي.

الظروف الزمنية لظهور الإسلام

لقد بزغ الإسلام في أرض تعد من أكثر بقاع العالم جفافا وأكثرها حارقة، ومع أنها محاصرة من الشرق والغرب بالمياه والبحار ولكن بما أن هذه البحار ضيقة إلى حد ما فإنها لم تغير شيئا في أجواء السعودية اللاهبة. (تاريخ العرب ، ص ٨)

الذين كانوا يقطنون في السعودية يعيشون في الصحراء ولم يكونوا يتبعون أي نظام وقيادة ولم يكونوا يستسلمون لأية سلطة وكانوا يعيشون على الطريقة القبلية، وكانوا

يتعاملون مع الآخرين كما يتعامل اليوم القومیون المتطرفون والعنصریون مع سائر القوميات والشعوب.

لقد كان إرتكاب المجازر والسلب والنهب، والإعتداء على الشرف، والكذب والخيانة تجاه الآخرين مشروعا لديهم. (تاریخ سیاسی إسلام ، ص١٣)

أعراب البادية لم يكونوا يتبعون حكما خاصا، بل كانت القبيلة تُشكل أساس قوميتهم ومجتمعهم، وكان ذكر مفاخر القبيلة وتعظيم الأشياء، حتى لو كان على أساس عدد قبور الموتى من أبرز ما يميز التعصب القبلي لديهم. (القرآن الكريم ، سورة التكاثر ، الآيات ٢ و ٣)

وكان نظام القبيلة والتعصب القبلي والنزعة القتالية الممتزجة مع العصبية الجاهلية والقومية مما تميز به عرب البادية، وكانت الحروب والسلب من الأدوات والسبل الرسمية لعيشهم، لذلك فانهم كانوا على إستعداد تام للحرب ضد الآخرين، وغزو القبائل المجاورة (العصر الجاهلي ، ص ٦١).

لقد كان قتل البنات ووأد البنات في القبور وهن أحياء عادة أروستقراطية بل وليس للعوائل الأروستقراطية وحسب وإنما حتى أحيانا عادة للفقر وضنك العيش، وبما

أنهم لم يكونوا يأخذون فتياتهم للحرب والغزو فكنّ عالة عليهم وكانوا يوؤدونهن وهن إحياء.

لقد بلغت منزلة المرأة في عهد الجاهلية إلى مستوى حتى أن عرب الجاهلية كانوا يعتبرونها مخلوقا بين الحيوان والإنسان، والخاصية الوحيدة لخلقها في إعتقادهم هي للتناسل وخدمة الرجل، وكانوا يعتبرون ولادة الأنثى للمرأة بمثابة نذير شؤم والسوء، ولذلك فإنهم كانوا يؤدون الفتيات وهن أحياء. لقد كان ذلك رائجا وشائعا بينهم ويعد من حقوق أولياء الفتيات المشروعة. (تاريخ تمدن إسلام و عرب ، ص ٥١٣ – ٥١٤)

لقد عكس القرآن الكريم هذه الحقيقة في قوله تعالى:

« وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ * يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ» (القرآن الكريم ، سورة النحل ، الآيات ٥٨ و ٥٩)

لقد كان عرب الجاهلية يأكلون الميتة ويقطعون الطرق وكانوا يتلذذون كثيرا بشرب الخمر والزنا والفساد وعدم الإلتزام. (تاريخ إسلام ، ص ٤٣)

التمسك وعبادة أنواع الأصنام والتماثيل، وإيجاد المعابد؛ كان مما تميز به عرب الحجاز، وقد توسعت الأصنام حدا حتى قيل أنه بلغ عددها عندما فتح النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) مكة المكرمة ٣٧٠ نوعا من الأصنام في الكعبة، وقد قام جيش الإسلام بتحطيمها. (العصر الجاهلي ، ص ٩١٢).

لقد إنتشرت عبادة الأصنام إلى حد حتى أنهم صنعوا أصناما على هيئة الحيوان والنبات والإنسان والجن والملائكة والنجوم، وكانوا يعبدونها. (ملل ونحل (شهرستاني)، الجزء الثالث ، ص ٢٧١).

وأفضل تعبير حول تبيين الأوضاع التي كانت عليه خلال ظهور الإسلام في السعودية، صدر عن لسان الإمام علي بن ابي طالب (عليه السلام)، في خطبته التي خاطب فيها الأعراب قائلا: «ان الله بعث محمدا صلى الله عليه وآله وسلم نذيرا للعالمين، وأمينا على التنزيل، وأنتم معشر العرب على شر دين، وفي شر دار، منيخون بين حجارة خشن، وحيّات صم، تشربون الكدر وتأكلون الجشب، وتسفكون دمائكم، وتقطعون أرحامكم، والأصنام فيكم

منصوبة، والآثام بكم معصوبة) (نهج البلاغة ، الخطبة ٢٦)

ما تحدث به أمير المؤمنين يبين نموذجا من الإنحطاط الأخلاقي والثقافة الجاهلية في عصر ظهور الإسلام، ولم تكن عبادة الأصنام تقتصر على العرب وحسب وإنما كان الفساد الأخلاقي والخرافات وأقبح السخافات الفكرية تتفشى أيضا وسط المسيحيين في جزيرة العرب وسائر المناطق، وكان وضعهم مزر للغاية.

وعلاوة على ذلك فان سائر الدول والمناطق كان الإنحطاط، والتمييز الطبقي الكبير، والعصبية، والتقاليد العصبية الخاطئة والفساد وعدم الإلتزام متفش فيها أيضا. (خدمات متقابل إسلام و ايران، جلد١ ، ص٩٩)

في إيران ورومانيا اللتان كانتا تعدان من أعظم دول العالم آنذاك؛ كان التمييز الطبقي والخلافات الدينية وتفرّد وإستبداد الوجهاء والأعيان، والفوضى العارمة والإضطرابات، جلية للعيان. (رحمت عالميان، محمد (ص) ، ص٤٠)

فى مثل تلك الظروف، والزمن الحساس، حيث كانت البشرية متورطة بالعادات الخاطئة والتمييز العنصري

والتمييز الطبقي؛ ظهر الإسلام، ومع تبيين حقوق الإنسان الأولية، هداهم من الجاهلية والخرافات والعبودية إلى الإنسانية والكمال.

قال نبي الإسلام (صلى الله عليه وآله وسلم) : «أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُمْ عُبِّيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ وَتَعَاظُمَهَا بِآبَائِهَا، فَالنَّاسُ رَجُلَانِ: بَرٌّ تَقِيٌّ كَرِيمٌ عَلَى اللَّهِ، وَفَاجِرٌ شَقِيٌّ هَيِّنٌ عَلَى اللَّهِ، وَالنَّاسُ بَنُو آدَمَ وَخَلَقَ اللَّهُ آدَمَ مِنْ تُرَابٍ. قَالَ اللَّهُ :يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ»، كما قال (صلى الله عليه وآله وسلم) : «أيها الناس، إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، كلكم لآدم، وآدم من تراب، إن أكرمكم عند الله أتقاكم، ليس لعربي فضل على أعجمي إلا بالتقوى». (أنظر أيضا : حقوق بشر ، اسدالله مبشري ، ص١٣)

الإسلام للمرة الأولى في تاريخ البشرية أعلن وبصوت صادح وصل إلى كافة بقاع العالم وإلى كافة البشرية وفي كافة الأزمنة؛ حقوق الإنسان منذ لحظة مجيئه للعالم وحتى وفاته، ومنذ وفاته وإلى الأبد.

لقد رفع النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) شعار الأخوة والسلام بين كافة القبائل، وأرسى عقد الأخوة، وحث الناس قدر المستطاع على السلام والأخوة، يقول القرآن الكريم :

«إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ...» (القرآن الكريم ، سورة الحجرات ، الآية ١٠)

لقد علم الإسلام المسلمين بأن يحبوا للآخرين ما يحبون لأنفسهم، وأن لا يفعلوا للآخرين شيئا ما لا يستسيغوه لأنفسهم. (الإمام علي صوت العدالة الإنسانية ، جرجي جرداق ، ص ١٠٥)

الملفت أن الإسلام لم يقصر الأخوة على الدين والمذهب، بل أنه أرسى ذلك على أساس الإنسانية ليسود السلام والهدوء في المجتمع.

ولذلك فإن الإمام علي بن ابي طالب (عليه السلام)، عندما وجه رسالته التاريخية لمالك الأشتر عندما ولاه مصر قال له مخاطبا: «.. فَإِنَّهُمْ (الناس) صِنْفَانِ إِمَّا أَخٌ لَكَ فِي الدِّينِ وَإِمَّا نَظِيرٌ لَكَ فِي الْخَلْقِ». (نهج البلاغة ، الكتب والرسائل ، رقم ٥٣)

مبادئ حقوق الإنسان في الإسلام

لمعرفة أسس حقوق الإنسان في الإسلام ينبغي إرساء المبادئ التي إرتكزت عليها الشريعة الإسلامية، ومن أبرز هذه المبادئ هي:

1- مبدأ التوحيد

يعد التوحيد بمعنى وحدانية الرب من المعتقدات الأساسية، ومن العقائد التي ينبغي على الإنسان أن يرسي حياته كلها عليها، فقد تصدى الإسلام من خلال التوحيد لعبادة الاصنام والعصبية والخرافات التي كان عرب الجاهلية متورطون بها، ودعا إلى الوحدة والإلتحام بين كافة المجتمعات (أيّما كانت قوميتهم أو ألوانهم أو أديانهم)، وحذرهم من الفرقة والنفاق والتشتت.

الإيمان بالتوحيد أقوى السبل تأثيرا وأعمقها محورا من أجل تحقيق المواساة، والأخوة والوحدة بين أفراد المجتمع، وكذلك الوحدة بين المجتمعات المتعددة.

كما يعد التوحيد عقبة أمام الإستبداد الحكومي والمعتدين والظالمين.

مبدأ التوحيد ركيزة أساسية ليتخلص الإنسان من عبودية الآخرين، ووسيلة للإستقامة وحرية البشرية، يقول النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) : «قولوا لا اله الا الله تفلحوا». (نهج الفصاحة)

لقد أزال الإسلام كل أسباب التشتت والعداء من خلال إعتماده على هذا المبدأ، كما أنه ألغى العصبية القومية، وعبادة الأصنام، والإستئثار والتربح على حساب الآخرين،

بينما أرسى المساواة والأخوة حول نظام عبودية الواحد. (اندیشه هاي سياسي در إسلام و ايران ، دكتر عسگر حقوقی، ص ٤٨).

٢- مبدأ المساواة، وإلغاء التفاضل النَسَبي

بعد مبدأ التوحيد، ألغى الإسلام الميزات الجاهلية التي لم تتورط المجتمعات العربية بها وحسب وإنما كافة المجتمعات آنذاك، من خلال تقديم مبدأ المساواة، كما إنه ألغى كافة عادات العرب السيئة في العصر الجاهلي، حيث كانوا يتفاخرون بالأنساب والقوميات، ودعا النبي الأكرم في خطبة حجة الوداع كافة المسلمين إلى الأخوة. (سيرة الرسول ، ابن هشام ، ص ٩٦٩)

الإسلام إعترض على كافة العادات القبلية الخاطئة والتفاخر القومي والتقاليد المنحطة السائدة سواء التفاخر بالثروة أو القبيلة أو اللغة أو العنصر أو اللون، أو غيرها، كما إعترض على إستعمار وإستثمار البشرية والعقائد الجاهلية، ومع أنه يدرك التمايز بين البشر سواء من ناحية الخلقة أو من الناحية المالية وحالات الإستعداد المعنوي، لكنه رفض بأن تكون هذه الإختلافات سببا في إيجاد

التمييز وعدم المساواة، لذلك إعتبر أن كافة البشر متساوون في الحقوق والواجبات ، وأنهم متساوون في المجالات التالية:

أ- في الإنسانية

باء – في الحقوق والواجبات

جيم – في صدور الاحكام وتنفيذ القوانين. (إسلام و حقوق بشر ، زين العابدين قرباني ، ص ١٣٩)

النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) رفض نظرية إن الله خلق قوما من الناس ليكونوا من الطبقة العليا، وخلق قوما آخرين ليكونوا من الطبقة السفلى، وأعلن بصراحة أن الله خلق كافة البشر، من أي عنصر ولون كانوا من أم وأب واحد كما يقول القرآن الكريم : «يَا أَيُّهَا النّاسُ اتّقُواْ رَبّكُمُ الّذِي خَلَقَكُم مّن نّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاء ...» . (القرآن الكريم ، سورة النساء ، الآية ١)

من وجهة نظر الإسلام، فإن الإختلاف بين البشر سواء كان الإختلاف في عنصرهم، أو لونهم، أو لغتهم، أو أموالهم أو عملهم أو عقايد وتوجهاتهم السياسية والدينية

التي تنبع من العوامل البيئية والطبيعية، ليست سببا لإيجاد نظام التمييز العنصري، والتمييز الطبقي في المجتمعات، وإنما وجدت هذه الإختلافات لـــ:

أولا: لمعرفة الله القادر بشكل أفضل، وهذا ما صرح به القرآن الكريم عندما قال: «وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالأرض وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ». (القرآن الكريم ، سورة الروم ، الآية ٢٢)

ثانيا: للتمييز بين البشر والتعرف عليهم، وهذا ما تحدث عنه القرآن الكريم عندما قال:

«يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ...». (القرآن الكريم ، سورة الحجرات ، الآية ١٣)

لقد حارب الإسلام العنصرية والتمييز الطبقي الذان يعتبران سببا في تضييع حقوق الإنسان الأولية، بهذا الشكل، فوجه خطابه لعموم الناس، لأي دين يعتنقون أو بأي أفكار يؤمنون، وفي أي وقت وزمان كانوا، فلم يخاطب قوما وعنصرا خاصا.

لقد قال النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) في السنة الأخيرة من حياته، وبعد الإنتهاء من آخر حجة له: «أيها الناس، إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، كلكم لآدم، وآدم من تراب، إن أكرمكم عند الله أتقاكم، ليس لعربي فضل على أعجمي إلا بالتقوى». (أنظر أيضا: إسلام وحقوق بشر ، زين الدين قرباني ، ص ١٤٤، والبيان والتبيين ج ٢ ص ٣٩)

هكذا ألغى الإسلام أي نوع من التمييز العنصري، والإختلاف الطبقي، ونشر المساواة والأخوة في المجتمع الإسلامي، وبهذا الشكل أصدر «ميثاق حقوق الإنسان»، وقد أعلن النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) قبل أكثر من ١٤٠٠ سنة، عن أهم أسس حقوق الإنسان، التي تطالب بها البشرية اليوم في كافة بقاع الأرض. وهذه ليست المرة الأولى يتحدث فيها نبي الإسلام (صلى الله عليه وآله وسلم) عن حقوق الإنسان، فقبل ذلك كان الوحي الإلهي الذي كان رسول الله (ص) يتولى مسؤولية إبلاغه للانسان، حدد كافة أسس حقوق الإنسان بوضوح . (human Rights in Islamic Law p.33)

الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) لم يكتف بإلغاء التمييز العنصري والتفاوت الطبقي في خطبه وحسب وإنما أثبت ذلك من خلال سيرته وسلوكياته العملية، ومن بين تلك السلوكيات وسيرته، ما فعله تجاه إبنة عمته زينب، وعبده زيد الذي أعتقه، وتعيين أسامة (ابن زيد) قائدا لجيش المسلمين، خلال حربهم ضد الروم، وكذلك إختيار بلال الأسود ليكون مبلغا للإسلام، وغير ذلك من مئات النماذج العملية التي يمكن الإشارة لها.

كما أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أعتبر سلمان الفارسي (الذي كان من الايرانيين) إنه أحد أفراد عائلته وأهل بيته، وبذلك فإنه ألغى التمييز العنصري والقبلي (الذي ينشأ من الإختلاف في المكان الجغرافي للعيش والسكن) بشكل عملي. (نفس المصدر)

كما إن الإسلام رفض التظاهر والتفاخر على أساس الأموال ومظاهر الحياة والعيش والإستعلاء على الآخرين نتيجة التفوق المالي وأعلن:

«وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ * قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ * وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا

زُلْفَى إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ...» (القرآن الكريم ، سورة سبأ ، الآية ٣٥- ٣٧)

الإسلام إستبدل التمييز العنصري، والإختلاف الطبقي في المجتمع بمبدأ وحدة الإمة، وقد قال النبي الاكرم (ص) في هذا الصدد: «النَّاسُ سَوَاسِيَةٌ كَأَسْنَانِ الْمِشْطِ ، وَإِنَّمَا يَتَفَاضَلُونَ بِالْعَافِيَةِ ...» . (أنظر : آثار الصادقين ، احسان بخش، ج ١ ، ص ٤٣٦ وأيضا: سيري در سيره نبوي ، شهيد مطهري ، ص ٢٨٨)

٣- مبدأ الفضيلة يرتكز على أساس الإيمان والتقوى

وبما أن الإيمان وعقيدة الإنسان تعدان من أهم عوامل تكامله وسعادته، لذلك فإن فضيلة الإنسان وتفوقه فيه على غيره من البشر ترتكز على أساس الإيمان والتقوي ولذلك يرفض الدين الإسلامي الفضيلة والتوفق على أساس القومية، والإستقواء، واللون ، والعنصر، ويدعو البشرية إلى المساواة والمواخاة والعدالة، ويطيح بالظلم والفساد، وينقل البشرية من وادي الجهل وعبادة الخرافات إلى وادي النور والسعادة.

الإسلام، دين مستوى التفوق فيه يرتكز على أساس الكفاءات والسلوكيات الشخصية وحسب، وفي هذا الصدد

فإن القرآن الكريم بإعتباره أبرز مصدر للقانون الإسلامي يقول :

« ...إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ...». (القرآن الكريم ، سورة الحجرات ، الآية ١٣)

الرسول الإكرم (صلى الله عليه واله وسلم) يقول في هذا الصدد بشكل صريح أن معيار الفضية هو التقوى والعمل الصالح وليست الثروة أو النسب أو الظروف المعيشية : (human Rights in Islamic Law p.34)

لقد بدأ الإيمان الإسلامي بالتوحيد ووحدانية الرب والاخوة، وإمتنع المؤمنون من عبودية الأصنام والأعمال السيئة والقبيحة، وثاروا بصلابة إيمانهم ووعيهم وصمودهم على الكفار والظالمين، وأزالوا الأصنام والخرافات، والتفوا حول داعي الحرية والصدق والأخوة والمساوة، وآمنوا بالشخص الذي ورد إسمه في التورات والإنجيل، كما أن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم أحل لهم الطيبات وحرم عليهم الخبائث وألقى عنهم أغلال الجاهلية التي كانت تقيد أيديهم وأرجلهم. (القرآن الكريم ، سورة الأعراف، الآية ١٥٧)

وبذلك جعل الإيمان أساسا لفضيلة الإنسان حيث أنه يعد سببا لوحدة ولحمة المجتمع، يقول القرآن الكريم: «وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا...». (القرآن الكريم ، سورة آل عمران ، الآية ١٠٣)

ورؤية الإسلام نلاحظها في كلام النبي الأكرم أيضا حيث يقول (ص) أن «المؤمن منفعة إن ماشيته نفعك وإن شاورته نفعك وإن شاركته نفعك وكلّ شي ء من أمره منفعة». (نهج الفصاحة ، الحديث رقم ٣٠٩٨) ويقول صلى الله عليه وآله وسلم أيضا : «المؤمن هيّن ليّن ...» ويقول : «المؤمن يسير المئونة» و«المؤمن من أمنه النّاس على أنفسهم وأموالهم ودمائهم» و«المؤمن من أهل الإيمان بمنزلة الرّأس من الجسد يألم المؤمن لأهل الإيمان كما يألم الجسد لما في الرّأس» و«المؤمن غرّ كريم و الفاجر خبّ لئيم». (نهج الفصاحة ، الأحاديث رقم ٣٠٩٧ و ٣٠٩٠ و ٣٠٨٥ و ٣١٠٦ و ٣٠٨٧)

والإسلام جعل هذه الصفات الحسنة للمؤمن أساس «الإيمان» وميزانا لفضيلة الإنسان، فالإيمان وإجتناب

المعاصي والآثام والسيئات تجعل الإنسان ينال التقوى وأن يصل إلى الكمال والفضائل.

ووفقا لتعبير القرآن الكريم، فإنه يقول:

«يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ» . (القرآن الكريم ، سورة الاعراف ، الآية ٢٦) و «تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأرض وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ» . (القرآن الكريم ، سورة القصص ، الآية ٨٣)

٤- مبدأ وحدة الأمة

إحدى الأسس الرئيسية للسياسة الإجتماعية في الإسلام، قضية إيجاد «الأمة الواحدة»، فهذا المبدأ يعتبر الأساس الإجتماعي في الإسلام، ووفقا لهذا المبدأ فإن كافة المسلمين بغض النظر عن قوميتهم أو لونهم أو دينهم أو وضعهم الإقتصادي (وبناء على التعاليم الدينية والعقائدية) فإنهم أعضاء في المنظمة السياسية الإسلامية (أي الأمة الإسلامية الواحدة)، وفي هذا التنظيم السياسي فإن عناصر

التمييز كالتمييز القومي أو العائلي أو العنصري أو الثروة لا مكان ولا دور لها فيه، والقرآن الكريم يؤكد في هذا الخصوص، «هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فأعبدون» (القرآن الكريم ، سورة الأنبياء ، الآية ٩٢).

هدف الإسلام النهائي من إيجاد الأمة الواحدة، إضافة إلى الجوانب المعنوية ومن بينها تكامل وسعادة الإنسان؛ فانها تحقق أيضا الجوانب المادية، ومن بينها الإنسجام الفكري وسعي المسلمين وراء الحصول على وسائل الحياة المعيشية، وتوفير الراحة والرفاهية الإجتماعية، والإستتباب الأمني والإستقرار في ظل المجتمع الإسلامي.

والحقيقة أن السياسة الدينية للإسلام تولي أهمية للبعدين في حياة الإنسان (البعد الدنيوي وكذلك البعد الروحي والأخروي)، وفي الوقت الذي تعتبر فيه تعاليم الإسلام أن الإنسان لم يخلق عبثا وإنما خلق من أجل هدف، فإنها تحثه على التكامل المادي والمعنوية وترشده إليه. (تاريخ انديشه هاى سياسي در إسلام و ايران)

فالإسلام عبر هذه السياسة وهذا المنطق الرصين والذي لن يتغير، يطرح منظمة السياسة الإسلامية ويسعى إلى

تشكيل وتشييد أسس «وحدة الأمة الإسلامية»، الأمة التي في ظل الإيمان وإنجذابها القلبي تتحد ولن تتقسم بتاتا.

الأمة هي المجتمع الذي يتألف من أشخاص لديهم إيمان وعقيدة مشتركة تجاه القوانين والشؤون السياسية والدينية، وتسود بينهم القوانين المتطابقة مع القرآن الكريم (بإعتباره قانون الحياة) والأحكام الإلهية، وبذلك فإن هذا المجتمع يطلق عليه «دار العدل»، والقرآن الكريم يعرّف الأمة النموذجية بهذا الشكل : «كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ» . (القرآن الكريم ، سورة آل عمران ، الآية ١١٠.

إذن، فإن المجتمع الإسلامي تسود فيه الحكومة الإلهية على الأمة الواحدة وبمساواة كاملة ومن دون وجود طبقية، وكان النموذج المتكامل لهذه الحكومة قد تأسس في حياة الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم)، وقد قام النبي بإدارة هذه الحكومة.

مما لا شك فيه وبما أن هناك مساواة وإشتراك بين المسلمين في القوانين والشريعة والعقائد، فإن التنظيم

السياسي الإسلامي الذي يدعو إلى الأمة الواحدة، لا تحده الحدود الجغرافية والقومية ولا غير ذلك من الشروط والقيود، بل حتى الذين يغادرون ويهاجرون من «دار الإسلام» وينتقلون للعيش والاقامة إلى بلد آخر، فإنهم لا يعتبرون خارجين عن عضوية هذه الأمة الواحدة، بل أنهم يبقون أعضاء في هذه الأمة. (نظام الحكم والادارة في الإسلام ، محمد مهدي شمس الدين ، صص ٣٩١ – ٣٩٢).

«الأمة الواحدة» هي المجتمع المعتدل الذي يعتبر أسوة وشاهدا على كافة الناس والمجتمعات، وهذا ما يتحدث به القرآن الكريم عندما يقول: «وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ...». (القرآن الكريم ، سورة البقرة ، الآية ١٤٣)

القرآن الكريم يبين خصائص «الأمة الواحدة» في السور والآيات المتعددة ومن بينها دعوته للأمة الإسلامية إلى الإحسان والخير «وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ...» (القرآن الكريم ، سورة آل عمران، الآية ١٠٤).

النتيجة المؤكدة والتأثير العيني لوحدة الشعوب الإسلامية وتشكيل الأمة الواحدة من الناحية الإجتماعية، هو أن مسلمي الدول الإسلامية يقتربون من بعضهم البعض الآخر، مما يدفع الحكومات الإسلامية إلى إتباع نهج وسياسة يؤديان إلى أن تكون العلاقات السياسية والإقتصادية والثقافية فيما بين الدول الإسلامية أولوية وان تستمر المساعي من أجل تعزيز أسس الأمة الإسلامية الواحدة. (حقوق أساسى و نهادهاى سىاسى ، جلال الدىن مدنى، ص ٥٩).

٥- مبدأ توزيع الثروات والإمكانيات في المجتمع

خلافا لما يروجه أحيانا المغرضون والجهلة تجاه الدين الإسلامي، فمن المبادئ الإجتماعية والإقتصادية للشريعة الإسلامية هي مكافحة ظاهرة الفقر والتمييز الطبقي الإقتصادي في المجتمع الإسلامي، وكذلك تقسيم أفراد المجتمع إلى فقير وغني، مما يتيح إمكانية تسلط الأغنياء على الفقراء.

الإسلام يعتبر تفشي الفقر سببا في إنتشار الفساد وإنحراف الإنسان، كما يعتبره أيضا بأنه يوفر أرضية

الكفر والإلحاد وعم الإلتزام الديني، ولذلك يتصدى له ويحاربه، من هنا فإن القرآن الكريم يعلن بشكل صريح « الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ» (القرآن الكريم ، سورة البقرة ، الآية ٢٦٨).

كما أن النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول بخصوص تأثير الفقر: «كاد الكفر أن يكون كفرا» (انديشه هاى سياسي در إسلام وايران ، ص ٧٤)، في نفس الوقت فإن الإسلام يدعو بقوة وبكثرة إلى كسب الأموال عبر السبل المشروعة والصحيحة، وعدم الإعتداء على حقوق الآخرين، والقرآن الكريم يتطرق إلى هذا الموضوع ويأمر أفراد المجتمع بالتكسب والحصول على الثروة عبر السبل المشروعة والصحيحة، فيقول القرآن الكريم: «لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ» . (القرآن الكريم ، سورة البقرة ، الآية ١٨٨)

كما أن القرآن الكريم يخاطب المسلمين بهذا الصدد قائلا: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ

إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ...». (القرآن الكريم ، سورة النساء ، الآية ٢٩)

الإسلام وضع وسائل لإزالة الفقر من المجتمع، من بينها الإنفاق والإحسان والخمس والزكاة والجهاد بالمال، والخراج والجزية والكفارات وكل واحدة من هذه الوسائل تؤثر بشكل خاص في إزالة الفقر عن المجتمع.

فقد أكدت الشريعة الإسلامية مرارا ضرورة الانفاق، وحثت كافة المسلمين عليه، كما أن الله جل وعلا وضع مكافأة للذين ينفقون أموالهم على الآخرين بالشكل التالي: «مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ». (القرآن الكريم ، سورة البقرة ، الآية ٢٦١)

فالله عزّ وجل يأمر الإنسان بالإنفاق، وأنه أخذ وعدا من البشرية على أن يحسنوا لآبائهم وأمهاتهم والأقرباء واليتامى والمساكين وأبناء السبيل والسجناء، وأن لا يترددوا بتقديم المساعدات المالية لهم.

«لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ

وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ ...». (القرآن الكريم ، سورة البقرة ، الآية ١٧٧)

مؤسسة الخمس من الفرائض التي أوجبها الإسلام على المسلمين، ويتعين على المسلمين أن يدفعوا خمس الفائض من أموالهم عن نفقاتهم السنوية إلى الحاكم الإسلامي، ليتم إنفاقها على الأعمال الخيرية ومن بينها الفقراء والأيتام وأبناء السبيل، وبالتالي فإن نقل جزء من أموال الأغنياء إلى المساكين يخفض من مستوى الفقر في المجتمع الإسلامي.

الحكم القرآني في هذا الصدد يقول:

«وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ ...». (القرآن الكريم ، سورة الأنفال ، الآية ٤٠)

كما يتعين على المسلمين أن يدفعوا مقدارا محددا من أموالهم (كالإبل والبقر والغنم والذهب والفضة والحبوب) سنويا بإعتبارها زكاة للحاكم الشرعي، لتتولى الحكومة بدورها بدفعها إلى الفقراء والمساكين وإطلاق سراح

المعتقلين، وتسوية قروض المديونين ولا يقتصر الأمر على المسلمين وحسب وإنما يطال الأمر الفقراء من غير المسلمين أيضا.

وفي هذا الصدد يقول القرآن الكريم:

«الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الأرض أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ ...». (القرآن الكريم ، سورة الحج ، الآية ٤١)

وعندما فرض الإسلام على المسلمين دفع الخمس والزكاة والصدقة والإنفال، فإنما يؤدي ذلك بالإضافة إلى إزالة الفقر عن المجتمع فإنه يحسر الهوة بين الطبقات الإقتصادية بين الناس، وكذلك يعزز الإنسجام والوحدة، ويجتث الجذور التي تؤدي إلى الفقر، وقبل كل ذلك يؤدي إلى تكافل وتعاون أفراد المجتمع.

إهتمام الإسلام بالقضاء على الفقر في المجتمع وصل إلى حد، أنه إعتبر إن الفقراء لديهم حصة وحق في أموال الأغنياء، والقرآن الكريم يقول في هذا الصدد :

«وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ * لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ» . (القرآن الكريم ، سورة المعارج ، الآيات ٢٤ و ٢٥).

كما قال الإمام علي (عليه السلام) في هذا الصدد: «إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ فَرَضَ فِي أَمْوَالِ الْأَغْنِيَاءِ أَقْوَاتَ الْفُقَرَاءِ فَمَا جَاعَ فَقِيرٌ إِلَّا بِمَا مُتِّعَ بِهِ غَنِيٌّ وَاللَّهُ تَعَالَى سَائِلُهُمْ عَنْ ذَلِكَ». (نهج البلاغه ، الحكمة ٣٢٨)

وكان «الخراج» الضريبة المتداولة في عصر صدر الإسلام تمارسها الحكومة الإسلامية وتفرضه على الإراضي الزراعية، فكانت تأخذ إما جزءا من المحصول الزراعي أو قيمته، ثم تنفقه على تحسين أوضاع الناس الذين يحتاجون إلى المساعدات، وخاصة المزارعين والعمال وسائر المنتجين الذين يحتاجون اليه.

كما أن «الجزية» ضريبة كانت تفرضها الحكومة الإسلامية على غير المسلمين الذين يعيشون في كنف الحكومة الإسلامية، فكان غير المسلمين يدفعون الجزية مقابل توفير الحكومة الإسلامية الأمن لهم ولعوائلهم ولأموالهم ولأعراضهم، وليعيشوا إلى جانب المسلمين في مجتمع واحد ويستفيدوا من حماية الحكومة الإسلامية لهم، ومبلغ الجزية يكون غالبا أقل من مبالغ الخمس والزكاة التي يدفعها المسلمون للحكومة الإسلامية. (تاريخ اندیشه های سیاسی در إسلام و ایران، ص ٨٢).

وورد في تعاليم الإسلام وأحكامه أن المسلم يعاقب ماليا على بعض الذنوب التي يرتكبها ولا تصل إلى مستوى الإعتداء على حقوق الآخرين، فتأخذ منه الأموال تحت عنوان «الكفارة»، فإذا كانت الكفارة مالا فيجب إنفاقها على الفقراء والمحتاجين، وإذا كانت طعاما فيقدم أيضا للفقراء والمحتاجين، كما يمكن ان تكون الكفارة إطلاق سراح السجناء، ويقول القرآن الكريم في هذا الصدد:

«لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ...» (القرآن الكريم ، سورة المائدة ، الآية ٨٩).

من هنا فإن الإسلام من خلال إيجاد مؤسسات مالية مناسبة بما فيها مؤسسة يطلق عليها «بيت المال» (The State Exchquer) جعل مصدرا للحصول على عائدات مالية وأموال لمنحها للمحتاجين، كما أن الإسلام جعل الزكاة (Charity tax) فريضة، لتقوم الحكومة بجمعها من الأغنياء وتوزيعها على الفقراء، عند ذلك تتحقق العدالة والمساواة والتعاون والتكافل، وكذلك فانها تؤدي إلى إيجاد

التعاون الإقتصادي ويستطيع الفقراء مواصلة حياتهم وعيشهم حتى لو كانت بإمكانيات قليلة.

لقد شجع النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) الأخذ بيد المحتاجين ومساعدتهم عندما قال : «ما آمَنَ بي مَن باتَ شَبْعانَ و جارُهُ طاوِيا ، ما آمَنَ بي مَن باتَ كاسِيا و جارُهُ عارِيا» (أنظر أيضا : human Rights in Islamic Law p.40)

كما أن الرسول الأكرم دعا إلى ضرورة الإهتمام باليتيم وإعالته، فقال: «أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا وأشار بالسبابة والوسطى وفرج بينهما». (أنظر أيضا : نظام مالى در سىستم اقتصادى إسلام ، محمد مهدى آصفى ، ص ٣٨ - ٣٩)

وبشكل عام فان الهدف من فرض عدة أنواع من الضرائب في الإسلام هو جمع الثروات الطائلة من الأغنياء وتوزيعها على الفقراء والشرائح الضعيفة في المجتمع والشؤون العامة في البلاد، من أجل إيجاد التوازن المالي في المجتمع وارساء العدالة الإجتماعية (آثار الصادقىن ، احسان بخش ، الجزء ٣٠ ، ص ٥٨ ، الحدىث ٤٢٠١٥).

٦- مبدأ حرمة أرواح البشر

من وجهة نظر الإسلام فان الحفاظ على أرواح البشر وحياة الإنسان من أهم القضايا التي إهتم وأكد عليها السلام.

وفي مصادر القانون الإسلامي تم التأكيد مرارا على أن قتل أي انسان من دون اي مسوغ قانوني أو شرعي فانه بمثابة قتل الناس جميعا، ويقول ربنا عزّ وجل في القرآن الكريم «...مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأرض فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا... » (القرآن الكريم ، سورة المائدة ، الآية ٣٢).

وهذا المبدأ وضع من أجل الحفاظ على حياة وأرواح سائر الناس في المجتمع، وكذلك الحفاظ على روح ونفس الإنسان، ومنع القيام بأية أعمال تهدد حياته كالانتحار، أو الاضرار بجسم الإنسان وإيذائه، وأيضا منع التقاليد الجاهلية، كوأد البنات، أو قتل الأولاد خشية الفقر والفاقة.

كما أن الأمر لا يقتصر على الجسد والحياة المادية لأفراد المجتمع وحسب وإنما يطال الحياة المعنوية

والفكرية لأفراد المجتمع أيضا، وسنتناول في مقال خاص ومستقل أهمية ونظرية الإسلام حول الحياة وحرمة النفوس.

٧- مبدأ منح الحريات الأساسية

بما أن الشريعة الإسلامية تولي أهمية وقيمة خاصة للانسان بإعتباره أفضل المخلوقات لإمتلاكه قوة العقل والتفكير، لذلك فان الإسلام دعا الإنسان إلى التفكير واستخدام طاقة العقل والتدبر وأن تكون كافة افكاره ومعتقداته مرتكزة على أساس التفكير والبحث والدراسة، كما أنه يسمح للإنسان الإفصاح عن أفكاره ومعتقداته، وليس هذا وحسب وإنما القرآن الكريم يخاطب الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) فيقول له: «.. فَبَشِّرْ عِبَادِ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ * أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ» . (القرآن الكريم ، سورة الزمر ، الآيات ١٧ و ١٨)

حرية الكتابة والتعبير وحماية الحريات الفكرية والعقائدية مما يتميز به دين الإسلام، وسنتناول ذلك بالتفصيل في مقال منفصل ومستقل، الا أن الفارق بين الحريات المذكورة في الشريعة الإسلامية وما يسمى

بالحريات الغربية وما يتم تداوله وترويجه هناك، هو ان الإسلام لا يسمح لأولئك الذين لديهم نوايا سيئة ومبيتة بتشويه أفكار الآخرين أو القيام بتضليلهم، بل يجب عليهم تسخير أقلامهم وحديثهم من أجل بناء المجتمع وأن لا تكون نواياهم سيئة.

وبهذه الطريقة فان الله جل وعلا يقسم بالقلم والكتابة، بإعتباره رمزا للتعبير ونشر العلم والعقيدة :

«ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ» . (القرآن الكريم ، سورة القلم ، الآية ١)

لذلك فان مبدأ منح الحريات الأساسية في الإسلام، يشمل أنواع حريات العقيدة والتعبير، وكذلك المشاركة والإنتماء في الإجتماعات المرخصة، وكذلك الفكر والصحافة، وأيضا يشمل كيفية التعامل مع الأقليات الدينية.

الإسلام يؤكد ضرورة التعامل بإحترام ومداراة الذين يعتنقون سائر الأديان، إلا الذين إرتكزت علاقاتهم مع المسلمين على أساس الظلم والطغيان، وفي هذا الصدد يؤكد القرآن الكريم: «وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ... ». (القرآن الكريم ، سورة العنكبوت ، الآية ٤٦)

٨- مبدأ الحكم المطلق لله

الإسلام لديه نظرية سامية حول مبدأ الحاكمية تدور حول أن الحاكمية المطلقة تخص الله جل وعلا، وفي نفس الوقت هناك حق الإنسان في تقرير مصيره وبالطبع تمتعه بالحاكمية الوطنية التي تمنح مفهوما ومعنى خاصا لمفهوم «الحاكمية» (السيادة).

من جهة وفي منظور الإسلام، فإن الحاكمية المطلقة تخص الله عزّ وجل وحده، والقرآن الكريم يقول في هذا الصدد: «...إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ...» (القرآن الكريم ، سورة يوسف ، الآية ٤٠)، ومن جهة أخرى فان الإنسان يعتبر خليفة الله في الأرض، ويعبر ربنا جل وعلا عن خلافة الإنسان للارض بهذا الشكل: «وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأرض خَلِيفَةً ...» (القرآن الكريم ، سورة البقرة ، الآية ٣٠).

ولكن الإسلام سمح للإنسان ومنحه حرية التحكم بمصيره وفي ظل الحاكمية الإلهية لديه القرار في تحديد مصيره، ووفقا لذلك فان الحكومة والدولة تعتبر ممثلا

ومصداقا لإرادة الناس السياسية، وبالتالي فان الحكومة تستمد سيادتها وقوتها وسلطتها من الناس، لذلك على الناس أن يتحركوا في إطار حكم الله والقوانين الدينية، كما أن الذين يتولون السلطة يعتبرون مؤتمنين على السلطة العامة (بإعتبارها أمانة الشعب بيد الحكومة).

من هنا فانه ومن وجهة نظر الإسلام، إذا كان أساس الحكومة إلهي فينبغي أن يكون الهدف إلهي أيضا، ولكن ينبغي أن يكون تنفيذه وتطبيقه شعبي وجماهيري، بمعنى آخر أن الدستور في النظام والحكم السياسي للإسلام إلهيا، ولكن ووفقا لإختلاف ظروف مصالح الأمة الإسلامية فينبغي أن يكون التطبيق جماهيريا بالكامل. (إسلام و حقوق طبیعی انسان ، الهامی ، ص ٥٦).

الإسلام يعتبر الحكم إلهي وانه من أجل تحقيق أهداف إلهية ولكن يتم تطبيقه عبر الشعب، من هنا فإن سيادة الشعب لا تتعارض مع مبدأ الحاكمية الإلهية، لأن طبيعة الحاكمية الإلهية ليست كطبيعة الحاكمية البشرية، حيث أن الأولى حقيقية بينما حكم الإنسان إعتباري لذلك فإنهما ليسا في خط واحد ليتعارض أحدهما مع الآخر.

وكما أن البحث عن مصدر أي قوة يقودنا إلى أعظم قوة وهي القوة الإلهية، فإن جوهر السيادة أيضا تعود إلى مصدر أعلى وأكبر من إرادة البشر، ويتجسد في الخارج وفقا لظروف الزمان والمكان ويخضع لإرادة الشعب، من هنا فإن السلطة في الأرض تتبلور بإرادة الشعوب وأنها صناعة بشرية.

من جهة أخرى فإن الحاكمية (السيادة) بما أن مصدره إلهي لذلك سيكون ردعيا تجاه الحكومة والشعب، مما يعني أن كافة الأنظمة السياسية الحالية لكي لا تطغى، ولكي لا تنحرف عن المسيرة الديمقراطية نحو أنواع الإستبداد والطغيان لذلك وضعت قيودا وإطارات دولية لهذا الحكم منذ البداية، (كميثاق حقوق الإنسان، وسائر المواثيق والإعلانات والإتحادات)، وقد أثبت تاريخ الديمقراطية أن السيادة الوطنية لم يكن يوما ينفذ ويسود من دون قيود وضوابط، وفي النظام الإسلامي فإن الحكم يعتبر أمانة إلهية فوضها الله عزّ وجل للبشر، وبالتالي لا يمكن تطبيقه من دون قيود وضوابط، والحكومة التي ينتخبها الشعب وتمسك بزمام الأمور لا يجوز لها تجاوز السنن الإلهية والقوانين الفطرية، من هنا فإن فيلسوف القرن الثالث عشر «سن توماس» يعلن بشكل صريح، أن الحكومة التي تضع

قوانين تتعارض مع القوانين الإلهية فإنها حكومة غاصبة وبإستطاعة أبناء الشعب أن يحاربوا هكذا حكومة. (مجله اندیشه إسلامی ، شماره ٤ و٥- مقاله دكتور ناصر كاتوزیان.

في الحكومة الإسلامية، الحاكم الفعلي والظاهر هو مندوب عن الحاكم الحقيقي وهو «الله»، وعليه أن يتحرك في إطار القوانين الإلهية، وإذا فعل ذلك فان طاعته تعتبر طاعة الله، ويجب على الجميع طاعته، ولكن لو لم يحكم بما أنزل الله، فليس عدم طاعته واجبة وحسب، وإنما يجب على أبناء المجتمع الإسلامي أن يثوروا وينتفضوا ضد الحاكم الظالم والديكتاتور، من هنا عندما يكون الحكم المطلق لله وتكون الحكومة إلهية فان ذلك يحول دون طغيان وإستبداد الحكام. (إسلام و حقوق طبیعی انسان، ص ٥٨)

من هنا فان الإسلام يعتبر الحكم المطلق لله تعالى ومن أجل الأهداف الإلهية، ويدار الحكم عبر الناس والشعب وفقا للتفويض الذي منحه الله للبشر ليتحكموا بمصائرهم، لذلك فان الحاكمية الإلهية المطلقة لا تعني بتاتا أن لا تكون هناك أية حكومة يقوم بتشكيلها الإنسان على الأرض،

وإنما يقوم البشر بتطبيق الحكم الإلهي في إطار محدد، وحكم الله لا يتعارض مع حكم البشر وحسب ، وإنما يعتبر مصدرا لحكم الشعب والجماهير.

ووفقا لذلك فان الحكم امانة إلهية بيد البشر لكي يحدد مصيره ويتحكم به على أساس ذلك، ووفقا لنظرية الحاكمية في الإسلام فإن السلطة العامة ملك للشعب وأنها أمانة بيد الحكومة ويجب أن تتعامل معها على أساس أنها أمانة إلهية وليست ملكا للحاكم، وإذا تعامل معها على أنها ملكا له عندها ستكون مغصوبة. (فلسفه سیاسی إسلام ، دكتر عسگر حقوقی ، ص ٨٠)

٩- مبدأ المشاركة العامة

من المبادئ المهمة والأساسية في المجتمع الإسلامي هي قضية المشاركة العامة لكافة أفراد المجتمع في تحديد مصيرهم وأن تسود الديمقراطية والحرية وإجراء الإنتخابات بمفهومها الصحيح والطبيعي.

قضية إمكانية المشاركة العامة لآحاد المجتمع الإسلامي تعد من مظاهر إحترام الشريعة الإسلامية للعقل ونمو

الشخصية وإحترام مكانة الإنسان، وتتجلى هذه الحقيقة عندما ندرك أن الله جل وعلا أرسل نبيه الأكرم الذي يعتبر النموذج الكامل للحكمة والتدبير، وكانت مسؤوليته الرئيسية هي تبليغ الرسالة، ومع ذلك فان الله جل وعلا كلفه بالتشاور مع أصحابه وتبادل وجهات النظر معهم، وبعد أن يتشاور معهم يختار الصحيح وينفذه.

وهذا الأمر الإلهي توجه إلى النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) في القرآن الكريم على الشكل التالي:

«... فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ...» . (القرآن الكريم ، سورة آل عمران ، الآية ١٥٩)

كما أن القرآن الكريم عندما يتحدث عن خصائص وميزات أفراد المجتمع يقول:

«وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ» . (القرآن الكريم ، سورة الشورى ، الآية ٣٧)

كل هذه الخطابات والتوجيهات تدل بوضوح على أن قضية تدخل ومشاركة الشعب في تحديد مصيره لم ترد في

إطار الإمكانية والتخيير وإنما يهتم بها الإسلام بإعتبارها ضرورة ومسؤولية دينية وعقائدية، وأنها مبدأ لا يطاله أي شك وتغيير كما أنها من الأسس الإجتماعية والسياسية في الإسلام، حتى أن القرآن يعلن بصراحة في هذا الصدد :

«... إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ...». (القرآن الكريم ، سورة الرعد ، الآية ١١)

إهتمام الإسلام بقضية المشورة لأهميتها والدعوة إلى المشاركة العامة والحفاظ على أفراد المجتمع على الصعيد السياسي والإجتماعي يدلل على هذه الحقيقة، وهي أن الشريعة الإسلامية إرتكزت على أساس حقوق الإنسان الطبيعية، وأنها بنيت على أساس إستخدام البشر لقدراتهم وطاقاتهم الطبيعية والذاتية وكذلك أفكارهم وعقائدهم بحرية. (إسلام و حقوق طبیعی انسان، ص ١٦).

كما أن تاريخ صدر الإسلام يورد لنا نماذج متعددة حول تطبيق نظام الشورى في كافة القضايا (سواء كانت سياسية أو اقتصادية أو دينية) بإعتباره أحد الأركان والمبادئ الرئيسية لأول حكومة إسلامية أسسها النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم)، كما أن التاريخ يؤكد أن النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) شخصيا

تشاور مع أصحابه في العديد من القضايا والأمور، وكان يهتم بآراء مختلف الأشخاص، بل يولي أهمية خاصة للأشخاص الذين كانوا متخصصين في قضايا معينة، وبلغ به الأمر أنه كان في بعض الأحيان يغض الطرف ويتجاوز عن رأيه الشخصي من أجل مراعاة هذا المبدأ المهم.

كان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يعتمد رأي الاكثرية، ويستخدم المشورة والإستفادة من وجهات نظر الآخرين ومشاركتهم في القضايا الإجتماعية ليعلّم أصحابه على ذلك، وأن يرسي في المجتمع إحترام الرأي العام، والنموذج البارز والعملي لهذا الأسلوب ما حدث في معركة بدر التي وردت بشكل مفصل في التاريخ، ففي هذه المعركة جمع النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أصحابه، وإستشارهم في طريقة التصدي للكفار الذين يقاتلونهم، عندها طرح المسلمون رأيين مختلفين، ثم اختار النبي رأي الأنصار على الرغم من أن رأيهم كان يتعارض مع رأيه. (سيرة ابن هشام ، الجزء الأول ، ص ٦١)

كما أن النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) إستشار أصحابه وأهل المدينة في معركة أحد حول إختيار المكان

والموقع المناسب لمواجهة الكفار والتصدي لهم فيه، ومع أنه كان يرى أنه ليس من المصلحة الخروج من المدينة، ولكن إحترم أصوات الأغلبية التي رأت أنه من الأفضل الخروج من المدينة فأختار هذا الرأي. (الرسول القائد ، ص ١٦٠).

يعود سبب تقبل رأي الأغلبية وأصواتهم ومراعاة مبدأ الشورى والمشاركة العامة إلى أن الإسلام يعتبر الإستبداد والإعتداد بالرأي يؤدي إلى ضلال وإنحراف المجتمع، والتشاور يؤدي إلى الحؤول دون الإنحرافات في المجتمع.

وبلغت ضرورة التشاور وإشراك الآخرين، درجة حتى أن الإمام علي (عليه السلام) قال: «مَنِ اسْتَبَدَّ بِرَأْيِهِ هَلَكَ وَ مَنْ شَاوَرَ الرِّجَالَ شَارَكَهَا فِى عُقُولِهَا» . (نهج البلاغة ، الحكمة ١٦١)

10- إلغاء العبودية

مما لاشك فيه أن أعظم وأبرز المنجزات التي حققها الإسلام هي إلغائه لعادة وتقليد العبودية الغير اللائقة و اللاإنسانية التي كانت سائدة في أغلب القوميات والبلدان

في العالم آنذاك، والتاريخ يشهد أن الشريعة الإسلامية أكثر من أي دين آخر وشريعة ونهج تصدت وكافحت هذه الظاهرة المشؤومة بشدة وكانت لهذه الظاهرة الإجتماعية السيئة بالمرصاد.

مع إعلان الإسلام المساواة بين كافة البشر في مبدأ الإنسانية ورفضه لمنع وشراء البشر، وكذلك حثه وتشجيعه على عتق العبيد وتحريرهم فإنه حطم ذلك القيد الظالم الذي كبّل أرجل ومعاصم البشرية لقرون عديدة وبذلك فانه خطى خطوة عظيمة وأساسية في هذا الإتجاه حتى إنه إعتبر أن عتق الرقاب وتحرير العبيد دليل على تجاوز الإنسان لمنعطفات التمسك بالدنيا ورغباتها وشهواتها.

وفي هذا الإطار فان القرآن الكريم يعلن : «وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ * فَكُّ رَقَبَةٍ » . (القرآن الكريم ، سورة البلد ، الآيات ١٢ و ١٣)

كما أن الإعتراف بحقوق العبيد كسائر أفراد المجتمع من الخطوات الإلابتدائية التي تركت تأثيرا كبيرا ولافتا في إلغاء العبودية. ويقول النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) في هذا الصدد: «إخوانكم خولكم جعلهم اللّه فنيه

تحت أیدیکم فمن کان أخوه تحت یده فلیطعمه من طعامه و لیلبسه من لباسه و لا یکلّفه ما یغبه فإن کلّفه ما یغلبه فلیعنه» (نهج الفصاحة ، الحدیث رقم ۱۱۳ ، أنظر أیضا : تاریخ تمدن إسلامی در قرن چهارم هجری)

وبالاضافة إلى أن الإسلام حارب العبودية وسعى وراء إلغائها فإنه وضع العديد من الطرق والسبل من أجل تحرير العبيد، كما أن أحد أبواب الفقه الإسلامي هو باب (العتق) أي تحرير العبيد من عبوديتهم، (اسلام و مالکیت در مقایسه با نظام های اقتصادی غرب ، ص ۲٤۱).

وسنتناول هنا وبإختصار سبل التحرير :

تناول الإسلام تحرير العبيد عبر الأسباب والسبل التالية:

– الطريق المباشر: فمع الأخذ بنظر الإعتبار الحث والتشجيع وارشادات القرآن الكريم وأولياء الله على نبذ العبودية ولتحقيق التقرب إلى الله والحصول على الثواب، فان مالك العبد يقدم وبعد أن يكون بكامل إختياره على عتق العبد من خلال العهد الذي يتعهد به في هذا الإطار أو النذر الذي ينذره لاطلاق سراحه، أو أن يقوم بشراء العبيد وإطلاق سراحهم لأي سبب كان، وهذه الطريقة هي

التي أوصت بها القرآن الكريم. «وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ * فَكُّ رَقَبَةٍ». (القرآن الكريم ، سورة البلد ، الآيات ١٢ و١٣)

– المكاتبة: وفي هذه الطريقة يبرم اتفاق وعقد بين العبد ومالكه، على أن يقدم العبد مقدارا من المال يتفق عليه مع مالكه ليعتقه، والقرآن الكريم يتحدث عن هذا السبيل والطريقة فيقول: «... وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ...» . (القرآن الكريم ، سورة النور ، الآية ٣٣)

– التدبير: إذا كان المالك يوصي بعتق رقبة عبده بعد موته، فيجب عتق رقبته وتحرير العبد بعد وفاته.

– السراية: إذا كان مالك العبد عدة أشخاص، فيتحرر جزء من العبد عند ذلك يسري الجزء المتحرر إلى سائر الأجزاء فيتحرر العبد ولكن عليه أن يؤدي لمالكه الذي لم يحرر بقية أجزائه ما يستحقه من المال أو العمل يتفق عليه لتتحرر باقي أجزاءه وأعضاءه. (اسلام و مالكيت در مقايسه با نظام هاى اقتصادى غرب ، ص ٣٤٣)

وبالإضافة إلى ذلك ووفقا للضوابط الإسلامية فإنه إذا كان مالك العبد يعذبه بطريقة بحيث أفقدته عضوا من

أعضائه أو جزءا من جسده، أو أنه يبالغ في ضربه حتى يجرحه، فإنه يتعين عليه أن يحرره. (تاريخ انديشه هاى سياسى در إسلام و ايران ، ص ٩٣)

وبالاضافة إلى السبل والطرق التي ذكرها الفقه الإسلامي في باب تحرير العبيد وعتق رقابهم فهناك موارد أخرى دعا فيها الإسلام إلى عتق العبيد وتحريرهم، من بينها، الكفارات (القرآن الكريم ، سورة المائدة ، الآية ٨٩) ، وكذلك الديات، (القرآن الكريم ، سورة النساء ، الآية ٩٢)، وأيضا الإرث (اسلام و مالكيت در مقايسه با نظام هاى اقتصادى غرب ، ص ٣٤٥).

المعارضون للإسلام أو الجاهلون به يثيرون الشبهات حول الإسلام، فيقولون لماذا لم يلغ الرق والعبودية دفعة واحدة عندما ظهر، وأنه لم يفعل ذلك وحسب بل أنه وضع قوانين وضوابط لتعامل الأسياد مع عبيدهم، وبذلك فإنه إعترف ضمنيا بالعبودية وأجازها؟ أو أنه إستمر في عادة العبودية وواصلها حيث أنه أبقى عبودية العبيد إذا تم أسرهم؟

والحقيقة اننا يجب أن نبحث عن تاريخ العبودية منذ بدء حياة البشرية، فهذه العادة والعرف المشؤوم والقبيح له

جذور تاريخية وعميقة حتى أن معظم القوميات والبلدان كانت تتداوله وتعمل به، بل وحتى إلى قرون قريبة كانت الأمم تمارس هذه العادة، وحتى مع إعلان حقوق الإنسان والثورة الفرنسية العظمى لم يلغ الرق والعبودية بشكل كامل. (تاريخ انديشه هاى سياسى در إسلام و ايران ، ص ٨٥)

وبعد التوقيع على إعلان حقوق الإنسان، كانت ظاهرة الرق والعبودية مستمرة في معظم البلدان ولكن بطرق وأساليب مختلفة.

وقبل ظهور الإسلام فإن النبي عيسى (عليه السلام) ومع أنه كان نبيا عظيما ويدافع عن الإنسانية، وبالرغم من إعتراضه الشديد على العبودية الا أنه لم يستطع إجتثاثها. (اسلام و مالكيت در مقايسه با نظام هاى اقتصادى غرب ، ص ٣٢٧)

ومع وجود هكذا ظروف، فمن الناحية التاريخية، والظروف السياسية والإجتماعية فكان من المؤكد وجود رفض وإعتراض شديد على إلغاء الرق والعبودية، خاصة وإن الإسلام كان في بداية ظهوره، لذلك لم يكن بوسعه

إلغاء العبودية والرق دفعة ومرة واحدة والقضاء على هذه الظاهرة والعادة المشؤومة.

ومع ذلك فإن الشريعة الإسلامية لم تذعن ولم تقر أي من العادات والأعراف الجاهلية في إستعباد البشر وبيعهم وشرائهم لهم، وإنما سعت وفقا لسياسة الخطوة خطوة وبشكل عملي إلى إلغاء كل ما يميز العبيد عن سائر البشر، وإغلاق كافة السبل التي تؤدي إلى العبودية والرق كالنهب والإستيلاء والإجراءات التوسعية، وفي نفس الوقت دعت الشريعة الإسلامية إلى القيام بخطوات تشجيعية من أجل إنهاء هذه العادة المشؤومة والظاهرة الإجتماعية السيئة، والحق أنها حققت نجاحا باهرا في هذا الإطار.

من الأدلة القطعية في رفض الإسلام وبشكل مبدئي وقاطع الرق والعبودية الحديث المروي عن النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) حيث يعتبر إنّ من شرّ النّاس عبدا يقوم بشراء وبيع الإنسان. (أنظر : تاريخ تمدن إسلامى در قرن چهارم هجرى)، ومن المؤكد، أن مثل هذه المشكلة لا يمكن حلها الا من خلال خطة متعددة الجوانب والأطراف ووفقا لبرنامج زمني طويل الأمد.

١١- منح المرأة حقوقها

أحد مفاخر الشريعة الإسلامية في إطار رص البنية الإجتماعية وتماسكها، هو الإهتمام بالمرأة والإعتراف بحقوقها في المجتمع.

سبق أن قلنا أن المرأة كانت تعيش وضعا مأساويا للغاية قبل ظهور الإسلام حتى بلغ بها الأمر أنها إذا كانت حاملا وولدت انثى فإن زوجها يسود وجهه من شدة التأثر والخجل، ولايخرج من بيته ويلتقي بأقاربه وأقرانه من شدة الخجل، ويقول القرآن الكريم في هذا الصدد : «وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالأُنثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ * يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلاَ سَاء مَا يَحْكُمُونَ» . (القرآن الكريم ، سورة النحل، الآيات ٥٨ و ٥٩)

كانت طريقة تعامل عرب الجاهلية مع المرأة أسوأ بكثير حتى من تعاملهم مع الحيوانات، وكانوا يأدون البنات والجواري وهن أحياء خشية أن تلحق بهم الفضيحة والعار، أو نتيجة الفقر الشديد والفاقة الذي كانوا يعيشونه

وما كانوا يعتبرون هذه العادة، عادة سيئة ومذمومة. (تاريخ آسلام ، على دوانى ، ص ٤٣)

مع ظهور الإسلام، أعلن النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) المساواة بين الرجل والمرأة في مبدأ الإنسانية، وقال القرآن الكريم في هذا الصدد: «هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا...» (القرآن الكريم ، سورة الأعراف ، الآية ١٨٩)، وحذر القرآن الكريم الجهلة بأنهم سيلاحقون وسيعاقبون في يوم القيامة لوأدهم البنات «وَإِذَا الْمَوْؤُودَةُ سُئِلَتْ * بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ» (القرآن الكريم ، سورة التكوير ، الآيات ٨ و ٩).

القرآن الكريم يحيي حقوق المرأة، والمعارضون للإسلام إن لم يكونوا يعترفون بأي ايجابية للإسلام فإنهم يقرون أن القرآن الكريم قطع خطوات عظيمة منذ نزوله لصالح المرأة وحقوق الإنسان، ولكن في نفس الوقت فإن القرآن الكريم عندما دافع عن حقوق المرأة بإعتبارها إنسانة وشريكة للرجل في الإنسانية وحقوق الإنسان، لم يغفل طبيعتها الأنثوية وفي نفس الوقت لم يغفل طبيعة الرجل الذكورية، وبعبارة أخرى فان القرآن نظر إلى المرأة على طبيعتها، ومن هنا فهناك انسجام كبير بين

الأوامر القرآنية والأوامر الطبيعية، والمرأة في القرآن كما هي في الطبيعة.

هذان الكتابان الإلهيان العظيمان (القرآن والطبيعة) يتطابقان مع بعضهما البعض الآخر، فالإسلام لديه فلسفة خاصة تجاه الحقوق العائلية للمرأة والرجل، تتعارض مع ما كان يجري قبل أربعة عشر قرنا وما يجري في الوقت الراهن.

الإسلام لم يحدد للرجل أو المرأة في جميع الأصعدة نوعا خاصا من الحقوق ونوعا خاصا من المسؤوليات ونوعا خاصا من العقوبات بشكل مشترك وهناك بعض الحقوق والواجبات والعقوبات تناسب الرجل، وحقوق وواجبات وعقوبات تناسب المرأة، وبكلمة فهناك بعض الأحكام وضعت بالتساوي للرجل والمرأة وبعض الأحكام لا يوجد تشابه فيهما بين الرجل والمرأة (نظام حقوق زن در إسلام، شهيد مطهري ص ١٠٩).

القرآن الكريم يتحدث بصراحة مطلقة وفي عدة آيات عن المساواة بين الرجل والمرأة من ناحية الإنسانية، ويقول أن الله خلق المرأة من سنخ الرجل وأن لها طبيعة مثل طبيعة الرجل (القرآن الكريم ، سورة النساء ، الآية

١، وسورة الأعراف ، الآية ١٨٩ ، وسورة الروم ، الآية ٢١).

وعندما يتحدث ربنا عن البشرية كلها يقول: «خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا...». (القرآن الكريم ، سورة الزمر ، الآية ٦) فيقول حول جميع البشر : «ثم جعل منها زوجها» وهذا يعني أن الله خلق أزواجكم من أنفسكم.

من هنا فان الإسلام يرفض بشكل قاطع ما جاء في بعض الكتب الدينية التي تم تحريفها قبل الإسلام والتي إعتبرت أن المرأة خلقت من طينة أسوأ من طينة الرجل.

الإسلام يرفض النظرية التي تقول أن المرأة وجدت لتكون سببا للمعصية وأنها شيطان صغير، أو النظرية التي تقول أن النساء لا يمكنهن التقرب إلى الله عزوجل وبلوغ المنازل المعنوية السامية، كما أن القرآن الكريم عندما يتحدث عن رجل عظيم فإنه يتحدث إلى جانب ذلك عن امرأة عظيمة وعفيفة، وأنه يشيد بزوجات الانبياء آدم وابراهيم وأم عيسى وموسى، وإذا كان القرآن الكريم يعتبر زوجتي نوح ولوط امرأتين منحرفتين وضالتين، فانه يصف زوجة فرعون بالمرأة العظيمة التي تورطت بزوج

قذر وسافل، كما ان القرآن الكريم يحافظ على التوازن عندما يتلو القصص التاريخية فلا يقتصر حديثه عن الأبطال في التاريخ على الرجل وإنما يتطرق إلى النساء اللواتي حققن بطولات تاريخية.

ما يحظى بأهمية في النظرة الإسلامية تجاه مكانة وحقوق المرأة والرجل، هو أن الإسلام يعتبر المرأة والرجل إنسانين وأنهما متساويين في الحقوق الإنسانية، وبالتالي فإن كلمة «المساواة في الحقوق» الرائجة اليوم في الغرب مجرد شعار وعلامة مزيفة أطلقه الغربيون على أنفسهم. ويسعى العالم الغربي إلى إيجاد تشابه في القوانين والضوابط والحقوق والواجبات تجاه الرجل والمرأة، وأن يتجاهل الإختلاف الطبيعي والغريزي بين الرجل والمرأة، وهنا يقع الإختلاف بين النظرية الإسلامية وسائر النظريات والأنظمة الغربية. (نظام حقوق زن در اسلام، ص ١٢١، ١٢٢)

كانت المرأة في أوروبا قبل ظهور الإسلام تفتقد الحقوق الإنسانية بشكل عملي وقانوني، فلم تكن تتمتع بحقوق مساوية مع الرجل ولا حتى مشابهة لحقوقه، وفي النهضة المتسرعة التي تم اطلاقها خلال أقل من قرن باسم المرأة

وحقوق المرأة في أوروبا، حصلت المرأة في الظاهر على حقوق مشابهة للرجل، ولكن مع الأخذ بنظر الإعتبار طبيعة المرأة وإحتياجاتها الجسدية والنفسية فانها لم تحصل بتاتا على حقوق مساوية للرجل.

ووفقا للنظرية الإسلامية فان العدالة والحقوق الفطرية والإنسانية للرجل والمرأة تقتضي أن لا يكون هناك تشابه بين الرجل والمرأة في بعض الحقوق، وبذلك فأن الإسلام يعتقد بوجود تشابه ومساواة في الحقوق الإنسانية، ولكن الإسلام يرفض التشابه والوحدة والمساواة في كافة الحقوق والمجالات بل يعتبر أن ذلك يتعارض مع طبيعة وحاجات المرأة والرجل الجسدية والنفسية، ويرى الإسلام أن الحقوق الطبيعية والأولية للرجل تختلف عن المرأة.

الزوج بإعتباره زوجا ورجلا فان ذلك يقتضي وجود مسؤوليات وحقوق خاصة به، كما أن الزوجة بإعتبارها زوجة وامرأة فان ذلك يقتضي أن تكون لها حقوق خاصة بها، وكذلك الحال فيما يتعلق بالأب والأم والابن، من هنا فإن فلسفة عدم المساواة في الحقوق العائلية للمرأة والرجل التي يقرها الإسلام ترتكز على هذا الأساس. (نظام حقوق زن در اسلام، صص ١٥٢ – ١٥٣)

١٢- مبدأ حصول كل إنسان على الحقوق الإجتماعية

بالإضافة إلى الحقوق والحريات الفردية والسياسية فإن أفراد المجتمع ووفقا للشريعة الإسلامية يتمتعون بحقوق إجتماعية متعددة، ومن أبرز هذه الحقوق الإجتماعية هي: حق إختيار مكان للإقامة وتغيير السكن والهجرة، والحق في الحصول على الأمن الشخصي والخاص، والحق في تشكيل العائلة وإختيار الزوج أو الزوجة، والحق في العمل وإختيار الشغل المناسب للشخص، والحق في التعلم والحصول على العلوم، وغير ذلك من الحقوق الإجتماعية التي تستدعي العيش بشكل افضل والنمو وتكامل الإنسان في المجتمع.

ومع أن الحقوق المذكورة سيتم تناولها في المقالات التالية ولكن بشكل عام سنتحدث هنا بشكل خاص عن بعضها من وجهة نظر الإسلام :

الحق في تحديد مكان الإقامة والهجرة

فمن وجهة نظر الإسلام لا يحق للمرء إختيار مكان لسكنه واقامته والانتقال إلى أي بقعة من الأرض وحسب، بل دعت القيم الإسلامية الإنسان إلى التنقل والسفر من مكان لآخر للهروب من الظلم أو إختيار مكان مناسب للسكن أو لأخذ العبر من الاحداث التاريخية واستيعابها بشكل صحيح، ويتحدث القرآن الكريم عن فوائد الهجرة فيقول: «وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللّهِ يَجِدْ فِي الأرض مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ...» . (القرآن الكريم ، سورة النساء ، الآية ١٠٠)

حرمة الحياة الخاصة والشخصية

في الدين الإسلامي يتمتع البيت والحياة الخاصة والشخصية للانسان بحرمة مميزة، ويتعين على كافة أفراد المجتمع أن يحترموا خصوصية كل فرد في المجتمع وحياته الخاصة ولايسمح لأي شخص التجسس العبثي على حياة الآخرين الخاصة، وشؤونهم الشخصية.

والقرآن الكريم ينهى المؤمنين من سوء الظن بالآخرين ويعتبر ذلك معصية، ويمنع بكل صراحة من التجسس على شؤون الآخرين. (القرآن الكريم ، سورة الحجرات ، الآية ١٢).

وكذلك فان الإسلام ولكي يتمتع افراد المجتمع بحريتهم الخاصة منع الدخول إلى بيوت الآخرين وإقتحام حرمة حياتهم الخاصة والعائلية من دون إستئذان مسبق منهم، ويقول بشكل صريح في هذا الصدد: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ * فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ» (القرآن الكريم ، سورة النور ، الآية ٢٧ و ٢٨).

الحق في تشكيل العائلة وإختيار الزوج

الحق في تشكيل العائلة من الحقوق التي أكدت عليها الشريعة الإسلامية بشكل كبير، وربما ليس هناك دين ومذهب يبحث هذا الموضوع المهم بالتفصيل ويصر عليه

كما يصر الإسلام، وقد بلغ الأمر في ذلك أن النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) إعتبر أن هذه القضية ممزوجة وملاصقة لإيمان أفراد المجتمع، فيقول في هذا الخصوص: «مَنْ تَزَوَّجَ فَقَدْ أَحْرَزَ نِصْفَ دِينِهِ فَلْيَتَّقِ اللّهَ فِي النِّصْفِ الْبَاقِي» (آثار الصادقين، الجزء٧ ، ص ٤٤٩ ، الحديث ١٠٥٦٨).

من وجهة نظر الإسلام فإن الزوجين لهما كامل حرية في إختيار الزوج المناسب لهما، وبالاضافة إلى أنه ليست هناك أي قيود سواء كانت عنصرية أو قومية أو لون البشرة أو غيرها من المعايير في إختيار الزوج، فإنه إعتبر أن المبدأ الرئيسي في إختيار الزوج وتشكيل العائلة رضا الطرفين، وبذلك فانه يوفر الأرضية اللازمة للإرتقاء بمكانة ومنزلة الرجال والنساء.

الحق في إختيار العمل المناسب والأجور المترتبة على العمل

من وجهة نظر الإسلام أن كافة أفراد المجتمع لديهم حرية إختيار العمل المناسب لهم، وليس لأحد أن يفرض على آخر العمل الذي يريده، والإسلام يعتبر أن العمل

المفروض على شخص ظلم ويتعارض مع الشرف والكرامة الإنسانية، وفي ذلك يقول الإمام علي بن ابي طالب (عليه السلام) أن رأيي هو أن لا أجبر أحدا بعمل لا يحبه وأن لا أعيينه لعمل قسري. (الإمام على صوت العدالة الإنسانية ، جورج جرداق ، الجزء الأول ، ص ٢٠٨)

وفيما يتعلق بالأجور المترتبة على العمل فإنه من المؤكد أن الإسلام يسبق سائر الأديان في إحترام العمل وأتعاب العمال، حتى أن النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) يقبل يد أحد العمال التي كانت مدملة (نظام مالى در سىستم اقتصادى اسلام ، ص ١١٣)، ويصدر قرارا في هذا الصدد فيقول: «... وأعط الأجير حقّه قبل أن يجفّ عرقه». (نظام مالى در سىستم اقتصادى إسلام ، ص ١١٥)

ولا شك أنه لا ينبغي أن ننسى فإن الإسلام إلى جانب مبدأ حرية إختيار العمل، فإنه يمنع أفراد المجتمع من مزاولة الأعمال التي تضر بصحة وسعادة المجتمع، ويعتبر بعض الأعمال محرمة ويمنع أفراد المجتمع من مزاولتها، كالربا والقمار وصناعة وبيع وشراء الخمور،

(القرآن الكريم ، سورة البقرة ، الآيات ٢٧٥ و٢٧٦، وسورة آل عمران ، الآية ١٣٠، وسورة النساء ، الآية ١٦١، وسورة الروم ، الآية ٣٩ وآيات أخرى)، فهذه الأعمال تؤدي إلى الإنحطاط الفكري والجسدي بأفراد المجتمع، وبذلك يمكن القول أن الشريعة الإسلامية أقرت كافة الحقوق الطبيعية لحياة سعيدة وشريفة مع مراعاة مبدأ نمو وتكامل الإنسان، ولم تقترح وتنظّر لذلك وحسب، وإنما وضعت برنامجا وخططا عملية وضمانة تنفيذية معقولة لذلك، لتكون في متناول اليد ويمكن تطبيقها، وبذلك تؤدي إلى رفاهية وسعادة أفراد المجتمع. وسنتطرق في المستقبل لبعض الحقوق الإجتماعية في هذا بمزيد من التفاصيل.

المصادر والمراجع :

١ – آثار الصادقين – صادق احسان بخش – انتشارات ستاد نماز جمعه گيلان – ١٣٧١ ه.ش

٢ – إسلام و حقوق بشر– زين الدين قربانى – دفتر نشر فرهنگ إسلامى – ١٣٧٥ ه.ش – تهران

٣– إسلام و حقوق طبيعى انسان– داود الهامى– دار التبليغ إسلامى– ١٣٦٠ ه.ش – قم

٤– إسلام و مالكيت در مقايسه با نظام هاى اقتصادى غرب – مرحوم آية الله طالقانى– ١٣٤٤ ه.ش– تهران

٥– الامام على صوت العدالة الانسانية – جورج جرداق –انتشارات فراهانى– ١٣٤٤ ه.ش– تهران

٦- البیان و التبیین- جاحظ - چاپ مصر- ١٩٢٩ میلادی- قاهره

٧- الرسول القائد - چاپ بیروت - لبنان

٨- العصر الجاهلی - دکتر شوقی ضیف - دار المعارف مصر- ١٣٤٠ ه.ش- قاهره

٩- اندیشه های سیاسی در إسلام و ایران - دکتر عسگر حقوقی - ١٣٧٤ ه.ش- تهران

١٠- تاریخ إسلام - علی دوانی- دفتر انتشارات إسلامی -١٣٧٣ ه.ش - قم

١١ - تاریخ تمدن إسلام و عرب- گوستاو لوبون فرانسوی

١٢- تاریخ تمدن إسلامی در قرن چهارم هجری - آدم فز- ١٣٤٣ ه.ش-تهران

١٣- تاریخ عرب- فیلیپ ک حتی- انتشارات فرانکلین -١٣٤٤ ه.ش- تبریز

١٤- حقوق اساسی و نهادهای سیاسی- سیدجلال الدین مدنی- ١٣٧٠ ه.ش - تهران

١٥- حقوق بشر- اسدالله مبشری - دفتر نشر فرهنگ إسلامی- ١٣٥٧ ه .ش- تهران

١٦- خدمات متقابل إسلام و ایران - شهید مرتضی مطهری - شرکت سهامی انتشار

١٧- رحمت عالمیان – محمد (ص)- فضل الله کمپانی –دار الکتب الإسلامیه

١٨- سیرة الرسول – ابن هشام- چاپ کتیگن- ١٨٥٨ میلادی

١٩- سیری در سیره نبوی – شهید مرتضی مطهری

٢٠- فلسفه سیاسی إسلام – دکتر عسگر حقوقی-١٣٥٤ ه.ش- تهران

٢١-قرآن کریم

٢٢- الملل و النحل – ابوالفتح محمدبن ابوالقاسم عبدالکریم شهرستانی- لیپزیک-١٩٢٣ میلادی

٢٣- مجله اندیشه إسلامی- شماره های ٤و٥ – تهران

٢٤- نظام الحکم و الادارة فی الإسلام – محمد مهدی شمس الدین – چاپ بیروت – لبنان

٢٥- نظام حقوق زن در إسلام – شهید مرتضی مطهری – انتشارات صدرا -١٣٥٧ ه.ش – تهران

٢٦- نظام مالی در سیستم اقتصاد إسلامی – محمد مهدی آصفی

٢٧- نهج البلاغه

٢٨- نهج الفصاحه

٢٩ – Human Rights in Islamic law- Tahir Mahmoud-New delhi-1993

فرهنگنامه حقوق بشر اسلامی (۱)

مبانی حقوق بشر در اسلام

مؤلف : دکتر عباس خواجه پیری
عضو هیئت علمی دانشگاه
و وکیل دادگستری